جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان - قسم التاريخ
أستاذ المادة: د/ سمير مزرعي السنة الثانية ليسانس

المحاضرة السادسة (تابع): مصادر تاريخ الجزائر المعاصر/ الأرشيف والمخطوطات والجرائد

1- تعريف الأرشيف: الأرشيف هو كلمة يونانية الأصل تعني "Arché" أو "Archion" ومعناها السلطة، كما عرفت في اللاتينية بـ: "Archivum" ومعنها الورقة، وهناك من يرى بأن مصطلح الوثيقة يعني مستندا "Document"، والبعض الآخر يرى انها ترادف كلمة سجل "Record"، أما في أدبيات المؤرخين المعاصرين فالأرشيف هو الوثائق التاريخية والسجلات التي تحفظ لنا تفاصيل الأحداث التاريخية ومخلفات مجتمع حضارة أو دولة ما، وقد تختلف الوثائق الأرشيفية حسب اختلاف أنواعها وأبعادها والأغراض التي كتبت من أجلها، وحسب الهيئات والمؤسسات التي أنتجت تلك الوثائق: (سياسية، عسكرية، قضائية، اجتماعية، دينية، ثقافية،...)، وعادة ما ينقسم الأرشيف إلى نوعين: رسمي أو شبع رسمي مثل المراسلات السياسية والأوامر القضائية، والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات، وقد نجد وقائق أرشيفية لدى كثير من الأشخاص والعائلات الفاعلة في الأحداث التاريخية المراد دراستها، وعموما الأرشيف هو مجمل الوثائق التي أنتجت من قبل الإدارة العثمانية في الجزائر خلال العصر الحديث، والهياكل الاستعمارية الفرنسية خلال الفترة المعاصرة.

2- أهمية الأرشيف: إن تشكيل أي طرح تاريخي علمي اكاديمي لا بد له من الوثائق الأرشيفية فهي المصدر الأساسي لذلك، فهي تمكن الباحثين والمؤرخين من إحياء الحياة مما لا حياة فيه -أي الوثيقة-، ولا يمكن بأي حال من الأحول الاستغناء عنها، فهي المصدر الأساسي التي تبنى عليها المعرفة التاريخية، إذ أن الوثيقة تحمل بين سطورها حقائق عفوية يمكن بناء عليها إعادة نسج خيوط الحادثة التاريخية الأصلية، وعلى أساس ذلك يمكن أن نحكم على مدى أصالة أي بحث التاريخي وموضوعيته وأكاديمية طرحه من خلال اعتماده وتطعيم مادته المعرفية والعلمية المستقاة من الوثيقة كمّا وكيفا، وبناء على ذلك نجد أن أبو القاسم يعد الله بأن الكتابة التاريخية الأكاديمية تخضع لمدى جرأة كل جيل عبر مختلف مراحل تاريخ الجزائر، و مستوى ثقافته ووعيه بالتاريخ، وامتلاكه الوثائق الأرشيفية ومحاولة تفسيرها وتحليلها تحليلا علميا؛ يتوافق مع قدراته ومؤهلاته العلمية، وطول نفسه في البحث والتنقيب؛ حسب المعطيات والمستجدات التي يعيشها ذلك الجيل بنظرات ورؤى تفاؤلية.

ويمكن أن نحدد مجالات الاستفادة من السجلات والوثائق الأرشيفية فيما يلي:

1/ الإدارة العامة: يمكن للوثائق الأرشيفية أن تفيدنا في هذا الباب وتزودنا بمعلومات مهمة وقيمة عن وظائف ومهام كل إدارة حكومية.

2/ التاريخ الديبلوماسي: تفيدنا الوثائق الأرشيفية المتمثلة في البرقيات والمراسلات والتعليمات الدبلوماسية المتعلقة بأنشطة الحكومة الخارجية، والإحصائيات التجارية المتعلقة بالشؤون الاقتصادية وغيرها.

3/ التاريخ الاجتماعي: قد تفيدنا بعض الاحصائيات في دراسة المجتمعات وتوزيعها الديموغرافي على المدن والأرياف، وتسمح لنا بإجراء إحصائيات دقيقة لأعداد السكان، ورسم خريطة بشرية لتتبع هجرات واستقرار السكان وتحديد العواملة المتحكمة في ذلك.

4/ التاريخ الاقتصادي: قد تزودنا بعض الوثائق التي يتم تجميعها من الإدارات الحكومية العاملة في مجال الصناعات والحرف والمهن الحرب، بمعلومات مهمة عن حجم المبادلات التجارية، بحيث تكشف لنا عن أرقام وإحصائيات عمليات التصدير والاستيراد، التي يمكن من خلالها إجراء مخططات ورسومات بيانية علمية.

2- أهم مراكز الأرشيف:

1/ المركز الوطني للأرشيف (الأرشيف الوطني الجزائري): يضم هذا المركز وثائق مهمة، منها سجلات المحاكم الشرعية التي تتضمن عقودًا قضائية أعدها موثقو المحاكم المالكية والحنفية، وتشمل قضايا الأحوال الشخصية والمعاملات المختلفة. كما يحتوي على سجلات البايلك وبيت المال، بالإضافة إلى العرائض والمراسلات والفرمانات التي كانت تصدر بين الباب العالي وإيالة الجزائر، مثل قرارات تعيين أو عزل الباشوات، وتنظيم شؤون الإمدادات العسكرية والتسليح، وتجنيد المتطوعين من مختلف مناطق الدولة العثمانية، فضلًا عن الشكاوى والعرائض التي كانت تُرفع إلى السلطان باعتباره القاضي الأعلى للدولة.

2/ المكتبة الوطنية الجزائرية: تحتوي على مجموعة قيمة من الملفات المحفوظة في قسم المخطوطات، والتي تشمل المراسلات والتقارير المتنوعة، كما تضم المكتبة سجلات رواتب الإنكشارية، وهي دفاتر ضخمة توثق الشؤون العسكرية، حيث تسجل أسماء الجنود، ورتبهم، ورواتبهم، وأصولهم، وأماكن تمركزهم. إلى جانب مؤسسة الأرشيف الوطني الجزائري، هناك مديريات الأرشيف في كل ولاية، إضافة إلى متاحف المجاهد والمركز الوطني للسمعي البصري، التي تسهم جميعها في حفظ وتوثيق التاريخ الوطني.

3/ أرشيف ما وراء البحار: فيما يخص الأرشيفات الجزائرية المحفوظة خارج الجزائر فسنحاول أن نشير باختصار إلى أماكن تواجده في فرنسا، ويمكننا تصنيفها إلى قسمين رئيسيين:

- **الأرشيف العسكري:** ويتركز في أرشيف وزارة الحرب الفرنسية بقصر فانسان في باريس، ويشمل الوثائق المتعلقة بالثورات والمقاومات الجزائرية.
- **الأرشيف السياسي، الاقتصادي، والاجتماعي:** وهو محفوظ في مركز الأرشيف الوطني فيما وراء البحار بمدينة آكس-آن-بروفانس، والذي يضم وثائق تتعلق بتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية وما سبقها.

وما يجب أن نعرفه حول مركز الأرشيف الوطني في آكس-آن-بروفانس؛ هو أنه قد تم تخصيصه لحفظ أرشيف المستعمرات الفرنسية، بما في ذلك وثائق الإدارة المركزية لوزارة المستعمرات السابقة. ويحتوي هذا المركز على مجموعة ضخمة من الوثائق الخاصة بتاريخ الجزائر، والتي قامت فرنسا بنقلها بين عامي 1961 و1962، حيث يُقدر عددها بـ 200 ألف علبة، أي ما يعادل 600 طن من الوثائق الخاصة بالفترة الاستعمارية، بالإضافة إلى 500 صندوق متعلق بالفترة العثمانية.

1. المذكرات: مصادر قيّمة لمراجعة الحقائق التاريخية المتعلقة بحياة الأفراد والجماعات والأقليات. فهي لا تقتصر على توثيق الأحداث، بل تسهم في إثراء المادة التاريخية من خلال تقديم معلومات فريدة ونادرة قد لا تتوفر في غيرها من المصادر، مما يجعلها عنصرًا أساسيًا لفهم الجوانب المختلفة للتاريخ.

3- مراكز المخطوطات:

1/**مخطوطات مكتبات أدرار(توات، وقرارة، تدكلت):** تعتبر أدرار من أغنى المناطق في الجزائر توفرا على المخطوطات، وكان الأستاذ مبروك مقدم قد أعد بحثا عن هذه المخطوطات وأطلق عليه: "**المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بتوات وقرارة وتدكلت"**، والذي ذكر فيه النشاط العلمي للكتاتيب وحركة الاستنساخ التي عرفتها المنطقة، وكذا مختلف العلماء الذي برزوا منها ومؤلفاتهم، وركز على أهم المراكز التي تحتفظ بالمخطوطات وهي:

- **مركز توات:** وبه 12 مكتبة ومن أشهرها: مكتبة كوسام، مكتبة بني تامر، مكتبة وجلان، مكتبة سيدي حيدة. **مركز تنجرين:** ومخطوطاته في الطب والفلك ومن خزاناته: خزانة المطارفة، خزانة اقسطن، خزانة أولاد عيسى، خزانة تزركوك.
- **مركز تدكلت:** وأهم مكتباته: مكتبة أقبلي الزاوية وتضم 63 مخطوطا، مكتبة المنصور، مكتبة ساهل القديم، وتحتوي على 218 مخطوطا.

2/ مخطوطات مكتبة جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار: وتتوفر على عدد من المخطوطات في بعض العلوم كالفقه، واللغة، والأدب والحساب، والعروض والجغرافية.

3/ مخطوطات المكتبة الوطنية بالحامة في الجزائر العاصمة: بناء على ما ورد في موقع المكتبة الوطنية فإن عدد المخطوطات بها قد بلغ 3868 مجلد مخطوط جلها باللغة العربية والبعض منها باللغات التركية والفارسية. جمعت مخطوطات المكتبة الوطنية من مختلف المساجد والزوايا عبر القطر الجزائري وكذا عبر شراء البعض منها كما تحصلت على البعض الاخر عن طريق الهدايا، وقد قام بعض الباحثين بإعداد فهارس لها لتسهيل البحث على الباحثين.

4/ **مخطوطات جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة:** يوجد بمكتبة جامعة الأمير أنفس المصادر والمراجع والتي تمثل مختلف فنون المعرفة الانسانية، ومن بينها عدد معتبر من المخطوطات في: الفقه، والتوحيد، والعقيدة، والتصوف، والأدب، واللغة، والقرآن والحديث، والسيرة، والتاريخ، والطب والمنطق. وجل هذه المخطوطات هي هبات من عائلات العلماء والتي تم جلبها من مكتباتهم الخاصة.

4- الصحف والجرائد:

1/ جريدة المجاهد: تأسيس جريدة "المجاهد" في جوان 1956، وصدرت أولاً باللغة الفرنسية بهدف إيصال صوت القضية الجزائرية إلى الرأي العام الدولي، كانت تصدر الجريدة خلال هذه المرحلة في مدينة الجزائر، فقد أشرف عليها كبار قادة الثورة أمثال: "العربي بن مهيدي، وديدوش مراد وعبان رمضان"، وتمتد هذه المرحلة من جوان 1956 إلى غاية 25جانفي 1957 حيث تمكن المستعمر من اكتشاف مقرها في حي القصبة خلال بداياتها، أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي أصبحت تصدر فيها من مدينة تطوان بالمغرب من 5 أوت 1957 إلى أول نوفمبر من السنة نفسها، وأما المرحلة الثالثة والأخيرة فهي المرحلة التونسية حيث حولتها لجنة التنسيق والتنفيذ إلى هناك لتكون قريبة من قيادة الجبهة، وتمتد من أول نوفمبر 1957 إلى غاية حصول الجزائر على استقلالها وهي أطول مرحلة مقارنة بالمراحل السابق، وقد ساهمت جريدة المجاهد في خدمة الثورة الجزائرية في عدة جوانب:

- دورها الإعلامي: عملت الجريدة على توثيق الأحداث العسكرية والسياسية للثورة، وتغطية نشاطات الولايات التاريخية، كما ركزت على النشاط الدبلوماسي لجبهة التحرير الوطني، مسلطة الضوء على مشاركاتها في المؤتمرات الدولية مثل مؤتمر باندونغ 1955، مما ساهم في تدويل القضية الجزائرية وكسب التأييد الدولي.
- مواجهة الدعاية الاستعمارية: ساهمت "المجاهد" في مواجهة الدعاية الاستعمارية الفرنسية من خلال تقديم رواية مضادة تكشف عن ممارسات الاستعمار وتبرز عدالة القضية الجزائرية. كما لعبت دورًا في تعزيز الوعي الوطني وتوحيد الصفوف بين الجزائريين.
- توثيق نضال المرأة الجزائرية: أولت الجريدة اهتمامًا خاصًا لدور المرأة الجزائرية في الثورة، فقد سلطت الضوء على مشاركتها في مختلف المجالات ومكانتها في المحافل الدولية، مما ساهم في تعزيز صورة المرأة الجزائرية المناضلة.

2/ جريدة البصائر: لعبت جريدة "البصائر" دورًا بارزًا خلال الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962) كلسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث ساهمت في توعية الشعب وتعزيز الروح الوطنية. تأسيس جريدة "البصائر" لأول مرة عام 1935، وتوقفت عام 1939 بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية. أُعيد إصدارها عام 1947 تحت قيادة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، واستمرت في الصدور حتى أواخر عام 1956، مما يعني أنها واكبت أحداث الثورة التحريرية لمدة تقارب العامين.

دورها خلال الثورة :ركزت الجريدة على نشر الوعي الوطني والديني، والتصدي للدعاية الاستعمارية الفرنسية. كما سلطت الضوء على قضايا الشعب الجزائري، ودعمت الحركة الإصلاحية من خلال مقالاتها.

موقفها من الثورة :أظهرت "البصائر" دعمًا واضحًا للثورة التحريرية، حيث نشرت مقالات تدعو إلى التحرر والاستقلال، وتؤكد على ضرورة الوحدة الوطنية في مواجهة الاستعمار.

لعبت جريدة "البصائر"، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دورًا محوريًا في الحركة الإصلاحية الجزائرية خلال الفترة من 1947 إلى 1956، ركزت الجريدة على معالجة القضايا الإصلاحية في المجتمع الجزائري، وسلطت الضوء على الممارسات التي اعتبرتها عوائق أمام تقدم المجتمع، ومن بين الفئات التي انتقدتها الجريدة من خلال مقالات كتابها الموظفون الرسميون ورجال الطرق الصوفية، حيث رأت في بعض ممارساتهم ما يعيق مسيرة الإصلاح والتقدم.

3/ جريدة المقاومة: ظهرت جريدة "المقاومة الجزائرية" في عام 1956، بعد عامين من اندلاع الثورة التحريرية، استجابةً لمطلب إنشاء إعلام ثوري يبرز نشاطات جبهة التحرير الوطني وجيشها. كان الهدف من هذه الجريدة تجنيد الجزائريين وتعبئتهم للعمل الثوري على الصعيدين المحلي والدولي، بالإضافة إلى إضفاء شرعية على اندلاع الثورة وتدويل قضيتها، بالإضافة إلى ذلك، لعبت الصحافة الجزائرية دورًا محوريًا في مواجهة الاستعمار وتوعية المجتمع، حيث ساهمت جريدة "المقاومة" جنبا إلى جنب مع جريدة "المجاهد" في نشر الوعي الوطني وتعبئة الشعب ضد الاستعمار الفرنسي، فقد تعرضت الجريدة في كثير من مقالاتها إلى العلاقة الروحية التي تجمع فلسفة ومبادئ الثورة التحريرية بالدين الإسلامي، وربطتها بحوادث تاريخية خالدة في التاريخ الإسلامي، كما أنها خصصت مقالات للإشادة بمكانة المرأة الجزائرية وكفاحها والأدوار التي لعبتها في إنجاح الثورة التحريرية.